تفسير إبن كثير

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

وما كنت بجانب الطور إذ ناديا) - قال أبو عبد الرحمن النسائي ، في التفسير من سننه : أخبرنا علي بن حجر ، أخبرنا عيسى - وهو ابن يونس - عن حمزة الزيات ، عن الأعمش ، عن علي بن مدرك ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة ، رضي االله عنه (وما كنت بجانب الطور إذ ناديا) ، قال : نودوا : يا أمة محمد ، أعطيتكم قبل أن تسألوني ، وأجبتكم قبل أن تدعوني .وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، من حديث جماعة ، عن حمزة - وهو ابن حبيب الزيات - عن الأعمش . ورواه ابن جرير من حديث وكيع ويحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن علي بن مدرك ، عن أبي زرعة - وهو ابن عمرو بن جرير - أنه قال ذلك من كلامه ، واالله أعلم .وقال مقاتل بن حيان : (وما كنت بجانب الطور إذ ناديا) : أمتك في أصلاب آبائهم أن يؤمنوا بك إذا بعثت .وقال قتادة : (وما كنت بجانب الطور إذ ناديا) موسى . وهذا - واالله أعلم - أشبه بقوله تعالى : (وما كنت بجانب الغربي إذ

قضينا إلى موسى الأمر) .ثم أخبر هاهنا بصيغة أخرى أخص من ذلك ، وهو النداء ، كما قال تعالى : (وإذ نادى ربك موسى) [الشعراء : 10] ، وقال : (إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) [النازعات : 16] ، وقال : (وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا) [مريم : 52] .وقوله : (ولكن رحمة من ربك) أي : ما كنت مشاهدا لشيء من ذلك ، ولكن االله أوحاه إليك وأخبرك به ، رحمة منه لك وبالعباد بإرسالك إليهم ، (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) أي : لعلهم يهتدون بما جئتهم به من االله عز وجل .